الفصل الحادي والعشرون

بيان معنى النذير والهادي في الآية ١٧ من سورة الرعد

قبل أن ننتقل لعرض بعض الأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة بموضوع الإمامة، نتوقف في هذا الفصل عند آية مهمة يقول دعاة الإمامية الإثني عشرية أنها تثبت صحة رأيهم.

النذير والهادي

هذه الآية الكريمة التي يحتج بها الشيعة الإثنا عشرية هي ما جاء في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾. (الرعد: ٧)

يقول الشيعة: إن النذير في الآية هو النبي ﷺ، والهادي هو الإمام علي رضي الله عنه.

غير أن من يعود لأشهر التفاسير يجد أن هذه الرواية مرجوحة بكثير من الروايات المخالفة لها، كما ان ابن كثير يقول بصراحة إن فيها نكارة شديدة.

قال الطبري في تفسيره جامعاً روايات مختلفة في فهم معنى الهادي:

الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ يَقُول - تَعَالَى ذِكْره - : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ يَا مُحَمَّد مِنْ قَوْمك، ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هَلَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد آيَة مِنْ رَبّه ! يَعْنُونَ : عَلامَة وَحُجَّة لَهُ عَلَى نُبُوَّته ، وَذَلِكَ قَوْلهمْ : ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ﴾.

يَقُول اللَّه لَهُ : يَا مُحَمَّد ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ لَهُمْ ، تُنْذِرهُمْ بَأْس اللَّه أَنْ يَحلّ بِهِمْ عَلَى شِرْكهمْ . ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ : يَقُول وَلِكُلِّ قَوْم إِمَام يَأْتَمُّونَ بِهِ وَهَاد يَتَقَدَّمهُمْ ، فَيَهْدِيهِمْ إِمَّا إِلَى خَيْر وَإِمَّا إِلَى شَرّ ، وَأَصْله مِنْ هَادِي الْفَرَس ، وَهُوَ عُنُقه الَّذِي يَهْدِي سَائِر جَسَده.

وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْل التَّأْوِيل عَلَى اخْتِلَاف مِنْهُمْ فِي الْمُعْنِي بِالْهَادِي فِي هَذَا الْمَوْضِع ، فَقَالَ بَعْضهمْ : هُوَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية

هو النبي صلى الله علي وسلم

يضيف الطبري في تفسيره: ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ (أي أن الهادي هو رسول الله ﷺ) : حَدَّثَنَا بِشْر ، قَالَ : ثَنَا يَزِيد ، قَالَ : ثَنَا سَعِيد ، عَنْ قَتَادَة : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾ هَذَا قَوْل مُشْرِكِي الْعَرَب ، قَالَ اللَّه : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ ﴿ لِكُلِّ قَوْم دَاعٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه ﴾.

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب ، قَالَ : ثَنَا وَكِيع ، عَنْ سُفْيَان ، عَنْ السُّدِّيّ ، عَنْ عِكْرِمَة وَمَنْصُور ، عَنْ أَبِي الضُّحَى : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ قَالَا : مُحَمَّد هُوَ الْمُنْذِر وَهُوَ الْهَاد .

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار ، قَالَ : ثَنَا عَبْد الرَّحْمَن ، قَالَ : ثَنَا سُفْيَان ، عَنْ السُّدِّيّ ، عَنْ عِكْرِمَة ، مِثْله . حَدَّثَنِي الْحَارِث ، قَالَ : ثَنَا عَبْد الْعَزِيز ، قَالَ : ثَنَا سُفْيَان ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عِكْرِمَة ، مِثْله .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية

هو الله سبحانه وتعالى

يضيف الطبري في تفسيره: وَقَالَ آخَرُونَ : عُنِيَ بِالْهَادِي فِي هَذَا الْمَوْضِع : اللَّه .

ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب ، قَالَ : ثَنَا وَكِيع ، عَنْ سُفْيَان ، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قَالَ : مُحَمَّد الْمُنْذِر ، وَاَللَّه الْهَادِي .

حَدَّثَنَا ابْن بَشَّار ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِم ، قَالَ : ثَنَا سُفْيَان ، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قَالَ مُحَمَّد الْمُنْذِر ، وَاَللَّه الْهَادِي . - حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب ، قَالَ : ثَنَا الْأَشْجَعِيّ ، عَنْ سُفْيَان ، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ قَالَ : أَنْتَ يَا مُحَمَّد مُنْذِر ، وَاَللَّه الْهَادِي .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرو بْن عَوْن ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هُشَيْم ، عَنْ عَبْد الْمَلِك ، عَنْ قَيْس ، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قَالَ : الْمُنْذِر : النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ قَالَ : اللَّه هَادِي كُلّ قَوْم .

حَدَّثَنِي مُحَمَّد بْن سَعْد ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، قَالَ : ثَنِي عَمِّي ، قَالَ : ثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ اِبْن عَبَّاس قَوْله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ يَقُول : أَنْتَ يَا مُحَمَّد مُنْذِر وَأَنَا هَادِي كُلّ قَوْم .

حَدَّثَنَا عَنْ الْحُسَيْن ، قَالَ : سَمِعْت أَبَا مُعَاذ يَقُول : ثَنَا عُبَيْد بْن سُلَيْمَان ، قَالَ : سَمِعْت الضَّحَّاك يَقُول : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ الْمُنْذِر : مُحَمَّد ﷺ ، وَالْهَادِي : اللَّه ﷻ .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية معناه نبي

يضيف الطبري في تفسيره: وَقَالَ آخَرُونَ : الْهَادِي فِي هَذَا الْمَوْضِع مَعْنَاهُ نَبِيّ . ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن بَشَّار ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِم ، قَالَ : ثَنَا سُفْيَان، عَنْ لَيْث ، عَنْ مُجَاهِد ، قَالَ : الْمُنْذِر مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : نَبِيّ.

حَدَّثَنَا ابْن حُمَيْد ، قَالَ : ثَنَا حَكَّام ، عَنْ عَنْبَسَة ، عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد الرَّحْمَن ، عَنْ الْقَاسِم بْن أَبِي بَزَّة ، عَنْ مُجَاهِد فِي قَوْله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ: نَبِيّ .

قَالَ : ثَنَا جَرِير ، عَنْ لَيْث ، عَنْ مُجَاهِد ، عَنْ عَبْد الْمَلِك ، عَنْ قَيْس ، عَنْ مُجَاهِد ، مِثْله . - حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن مُحَمَّد ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاط بْن مُحَمَّد ، عَنْ عَبْد الْمَلِك ، عَنْ قَيْس ، عَنْ مُجَاهِد ، فِي قَوْله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : لِكُلِّ قَوْم نَبِيّ ، وَالْمُنْذِر : مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ : ثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنِي عَبْد الْمَلِك ، عَنْ قَيْس، عَنْ مُجَاهِد ، فِي قَوْل اللَّه : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : نَبِيّ .

قَالَ : ثَنَا شَبَّابَة ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاء ، عَنْ ابْن أَبِي نَجِيح ، عَنْ مُجَاهِد ، قَوْله : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يَعْنِي : لِكُلِّ قَوْم نَبِيّ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا أَبُو حُذَيْفَة ، قَالَ : ثَنَا شِبْل ، عَنْ اِبْن أَبِي نَجِيح ، عَنْ مُجَاهِد : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : نَبِيّ .

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عَبْد الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّد بْن ثَوْر ، عَنْ مَعْمَر ، عَنْ قَتَادَة : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : نَبِيّ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللّه .

حَدَّثَنِي يُونُس ، قَالَ : أَخْبَرَنَا اِبْن وَهْب ، قَالَ : قَالَ اِبْن زَيْد ، فِي قَوْله : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : لِكُلِّ قَوْم نَبِيّ ، الْهَادِي : النَّبِيّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ، وَالْمُنْذِر أَيْضًا : النَّبِيّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ. وَقَرَأَ :﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ .

وَقَالَ : ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴾ قَالَ : نَبِيّ مِنْ الْأَنْبِيَاء .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية معناه القائد

يضيف الطبري في تفسيره: وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ عُنِيَ بِهِ : وَلِكُلِّ قَوْم قَائِد .

ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْب ، قَالَ : ثَنَا جَابِر بْن نُوح ، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِد ، عَنْ أَبِي صَالِح : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : إِنَّمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّد مُنْذِر ، وَلِكُلِّ قَوْم قَادَة.

قَالَ : ثَنَا الْأَشْجَعِيّ ، قَالَ : ثَنِي إِسْمَاعِيل أَوْ سُفْيَان ، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِد ، عَنْ أَبِي صَالِح : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : لِكُلِّ قَوْم قَادَة .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا إِسْحَاق ، قَالَ : ثَنَا عَبْد اللَّه بْن أَبِي جَعْفَر ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيع ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَة : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : الْهَادِي : الْقَائِد ، وَالْقَائِد : الْإِمَام ، وَالْإِمَام : الْعَمَل .

حَدَّثَنِي الْحَسَن ، قَالَ : ثَنَا مُحَمَّد ، وَهُوَ ابْن يَزِيد ، عَنْ إِسْمَاعِيل ، عَنْ يَحْيَى بْن رَافِع ، فِي قَوْله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : قَائِد .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية هو علي رضي الله عنه

يضيف الطبري في تفسيره: وَقَالَ آخَرُونَ : هُوَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ .

ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن يَحْيَى الصُّوفِيّ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَن بْن الْحُسَيْن الْأَنْصَارِيّ ، قَالَ : ثَنَا مُعَاذ بْن مُسْلِم ، ثَنَا الْهَرَوِيّ ، عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب ، عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر ، عَنْ ابْن عَبَّاس ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وَضَعَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَده عَلَى صَدْره ، فَقَالَ : " أَنَا الْمُنْذِر وَلِكُلِّ قَوْم هَاد " ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكِب عَلِيّ ، فَقَالَ : " أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيّ ، بِك يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي " .

ذكر من قال بأن الهادي في الآية هو الداعية

يضيف الطبري في تفسيره: وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَاهُ : لِكُلِّ قَوْم دَاعٍ.

ذِكْر مَنْ قَالَ ذَلِكَ : حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثَنَا عَبْد اللَّه ، قَالَ : ثَنِي

مُعَاوِيَة، عَنْ عَلِيّ ، عَنْ اِبْن عَبَّاس ، قَوْله : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ : دَاعٍ .

الخلاصة التي وصل إليها الطبري في معنى الهادي

قال الطبري في ختام تفسيره لهذه الآية، وبعد أن عرض كل هذه الروايات:

وَقَدْ بَيَّنْت مَعْنَى الْهِدَايَة ، وَأَنَّهُ الْإِمَام الْمُتَّبَع الَّذِي يَقْدُم الْقَوْم . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَجَائِز أَنْ يَكُون ذَلِكَ هُوَ اللَّه الَّذِي يَهْدِي خَلْقه وَيَتَّبِع خَلْقه هُدَاهُ وَيَأْتَمُّونَ بِأَمْرِهِ وَنَهْيه.

وَجَائِز أَنْ يَكُون نَبِيّ اللَّه الَّذِي تَأْتَمّ به أُمَّته، وَجَائِز أَنْ يَكُون إِمَامًا مِنْ الْأَئِمَّة يُؤْتَمّ به وَيَتَّبِع مِنْهَاجه وَطَرِيقَته أَصْحَابه، وَجَائِز أَنْ يَكُون دَاعِيًا مِنْ الدُّعَاة إِلَى خَيْر أَوْ شَرّ.

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَلا قَوْل أَوْلَى فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ مِنْ أَنْ يُقَال كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : إِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُنْذِر من أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِالْإِنْذَارِ ، وَإِنَّ لِكُلِّ قَوْم هَادِيًا يَهْدِيهِمْ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيَأْتَمُّونَ بِهِ.

تعليق ابن كثير على الرواية التي أوردها الطبري عن علي

اعتبر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن الرواية التي عرضها الطبري في تفسيره، التي تفيد بأن الهادي في الآية معناه الإمام علي، اعتبر أن فيها "نكارة شديدة". وقال ابن كثير:

قَالَ اللّٰه تَعَالَى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ أَيْ إِنَّمَا عَلَيْك أَنْ تُبَلِّغ رِسَالَة اللّٰه الَّتِي أَمَرَك بِهَا وَ" لَيْسَ عَلَيْك هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّٰه يَهْدِي مَنْ يَشَاء. قَوْله ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالَ عَلِيّ بْن أَبِي طَلْحَة عَنْ اِبْن عَبَّاس : أَيْ وَلِكُلِّ قَوْم دَاعٍ.

وقَالَ الْعَوْفِيّ عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي الْآيَة يَقُول اللّٰه تَعَالَى أَنْتَ يَا مُحَمَّد مُنْذِر وَأَنَا هَادِي كُلّ قَوْم. كَذَا قَالَ مُجَاهِد وَسَعِيد بْن جُبَيْر وَالضَّحَّاك وَغَيْر وَاحِد.

وعَنْ مُجَاهد ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أَيْ نَبِيّ كَقَوْلِه " وَإِنْ مِنْ أُمَّة إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِير " وَبِهِ قَالَ قَتَادَة وَعَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد.

وَقَالَ أَبُو صَالِح وَيَحْيَى بْن رَافِع ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أَيْ قَائِد.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَة الْهَادِي الْقَائِد وَالْقَائِد الْإِمَام وَالْإِمَام الْعَمَل.

وَعَنْ عِكْرِمَة وَأَبِي الضُّحَى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قَالا هُوَ مُحَمَّد ﷺ.

وَقَالَ مَالِك ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن يَحْيَى الصُّوفِيّ حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن الْحُسَيْن الْأَنْصَارِيّ حَدَّثَنَا مُعَاذ بْن مُسْلِم حَدَّثَنَا الْهَرَوِيّ عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس - رَضِيَ اللّٰه عَنْهُمَا - قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ " إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِر وَلِكُلِّ قَوْم هَاد " قَالَ وَضَعَ رَسُول اللّٰه صَلَّى اللّٰه عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ يَده عَلَى صَدْره وَقَالَ " أَنَا الْمُنْذِر وَلِكُلِّ قَوْم

هَاد " وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكِب عَلِيّ فَقَالَ " أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيّ بِك يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِي " . وَهَذَا الْحَدِيث فِيهِ نَكَارَة شَدِيدَة.

وَقَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الْحُسَيْن حَدَّثَنَا عُثْمَان بْن أَبِي شَيْبَة حَدَّثَنَا الْمُطَّلِب بْن زِيَاد عَنْ السُّدِّيّ عَنْ عَبْد خَيْر عَنْ عَلِيّ ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ قَالَ الْهَادِي رَجُل مِنْ بَنِي هَاشِم قَالَ الْجُنَيْد هُوَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ اِبْن أَبِي حَاتِم وَرُوِيَ عَنْ اِبْن عَبَّاس فِي إِحْدَى الرِّوَايَات وَعَنْ أَبِي جَعْفَر مُحَمَّد بْن عَلِيّ نَحْو ذَلِكَ.

تفسير القرطبي

قال القرطبي في تفسيره: قَالَ اللَّه تَعَالَى لِنَبِيِّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : " إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِر " أَيْ مُعَلِّم . " وَلِكُلِّ قَوْم هَاد " أَيْ نَبِيّ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّه . وَقِيلَ : الْهَادِي اللَّه ; أَيْ عَلَيْك الْإِنْذَار ، وَاَللَّه هَادِي كُلّ قَوْم إِنْ أَرَادَ هِدَايَتهمْ.

الرسول عليه الصلاة والسلام بعث للناس كافة

بعد أن عرضت ما قاله الطبري وابن كثير والقرطبي في الآية، أقول أنا محمد الهاشمي:

يتضح من سياق الآية ومبناها أنها تتضمن ردا على الذين طلبوا أن يكون للنبي محمد ﷺ آية معجزة كما كان لعدد من الأنبياء من قبله، فأجاب اللّه سبحانه وتعالى، موجها الخطاب لنبيه، يعلمه فيها بأنه

المنذر للناس: " إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ"، مثلما كان أمر الأنبياء الذين بعثهم الله هداة لأقوامهم من قبل: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

ويجوز أن يكون فيها أيضا وصفا للرسول ﷺ بالنذير والهادي معا.

ومما يعين على فهم الآية أن نذكر هنا بما هو معروف في الإسلام من أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل للناس كافة، وليس لأمة مخصوصة من الناس كما هو شأن من سبقه من الأنبياء، بدليل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾. (الفرقان: ١)

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. (سبأ: ٢٨)

ومما يرجح هذا القول ويضعف القول بأن الهادي في الآية هو

سيدنا علي ﷺ، أن سيدنا عليا ﷺ لم يحتج بها في أيام الشورى بعد استشهاد سيدنا عمر ﷺ، ولا في سجاله مع مخالفيه في أثناء خلافته.

وكذلك ما جاء في قوله سبحانه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾. (الأحزاب: ٤٥-٤٦). إن في هذا بياناً واضحاً بأن النبي ﷺ وحده هو الهادي للحق برسالة الحق وأنوار القرآن الكريم.

وكذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. (النساء: ٥٩) إن في هذا بياناً واضحاً بأن مرجعية المسلمين عند الاختلاف هي كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وليست عند أحد من المسلمين.

وكذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾. (النساء: ١٦٥) إن في هذا بياناً واضحاً أن الرسول ﷺ هو الحجة على الناس بما جاء به من رسالة التوحيد وتعاليم الإسلام، مثلما كان النبيون من قبله الحجة على أقوامهم، ولا يدخل غير الأنبياء في هذا المقام بنص الآية.

قال ابن كثير في تفسيرها: أَيْ أَنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ كُتُبه وَأَرْسَلَ رُسُله بِالْبِشَارَةِ وَالنِّذَارَة وَبَيَّنَ مَا يُحِبّهُ وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَههُ وَيَأْبَاهُ لِئَلَّا

يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عُذْرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ وَكَذَا قَوْلُهُ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ الْآيَةَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ". وَفِي لَفْظٍ آخَرَ "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ".

هذا وإن تأكيد هذه المعاني الواضحة، وتبيينها للناس، لا ينقص من قدر سيدنا علي ﷺ شيئا. فإنه صاحب فضل وسبق عظيمين في تاريخ الإسلام، شهد له بذلك رسول الله ﷺ، وبشره بالجنة، وشهد له الصحابة الكرام رضي الله عنه، وأمة الإسلام قديماً وحديثاً. ولذلك فإنه في غنى عن مدحه بالأقوال المغالية والروايات الضعيفة أو المنكرة. جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به عباده الصالحين.